التصغير في القرآن الكريم

والكنى والألقاب في العربية

أ.د. أحمد مصطفى أبو الخير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التصغير في القرآن الكريم والكنى والألقاب في العربية

إشارتان مهمتان خفيفتان

للأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير ـ جامعة دمياط

٢٠٢٣/٨/٢٩م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جاءني شابان – معيدان- من جامعة الأزهر العريقة يبغيان دراسةَ الماجستير بإشرافي، رحبتُ على الفور، واقترحتُ عليهما أن يدرُسَا الجانبَ الصرفي؛ أحدهما في دستور اللغة العربية، ثم الجانب النحوي للفتى الآخر.

دستور اللغة العربية مشروع قدمته في ٧٥ مادة، شرحن في ١٢٠٠ صفحة تقريبًا، ثم ترجمت الموادَّ فقط إلى اللغة الإنجليزية، والتي راجعها أحد الزملاء، هو متخصص في اللغة الإنجليزية، ثم راجعتُ أنا على المراجعة.

لكن القسم عندنا رأى أنْ يقارنَ الدستور بأحد الأعمال البارزة في الصرف والنحو، وعلى الفور اقترحت:

دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة (١٩١٠-١٩٨٤م).

ورحَّب الزملاء بالقسم بهذا المقترح، وتحمسوا، وعند تحسس الموضوع وجدنا نصًّا عند عضيمة، هو مهمٌّ جدًّا؛ بل بالغ الأهمية:

(التصغير الذي يراد به التحقير لم يقع في القرآن الكريم، لا في رواية حفص، ولا في رواية غيره) امسك، هذي قفشة مهمة، رجعت إلى النص في كتاب الدكتور محمد عبد الخالق: (... وإنما وقع في القرآن التصغير الذي يُراد به المحبة والشفقة والتلطف، نحو: يا بني).

ويُضيف الرجل:

١- جاء في **القرآن** ما هو على صورة المصغر، وليس بمصغر: (**المسيطر - المسيطرون – المهيمن**...) إلخ.

٢- وجاء في القرآن المسمى بالمصغر: (**حُنين - شُعيب – قُريش**...) إلخ.

وكلا النوعين السابقين خرجا من باب التصغير، كما الفعل الذي سمي به: (**رنا – نحمده – تشكر**) هذى الافعال خرجت من باب (**الجِمال**) بكسر الجيم، من باب الأفعال إلى العَلَمية كما يخرج المتطفل الضيفين من أقرب باب للجمال، وليس من باب الضيفان.

كما أوضح الرجل أنَّ التصغير الذي للتحقير لم يقع في القراءات المتواترة، إنَّما وقع في القراءات الشاذة، مع التنويه إلى أنَّ التصغير للتقليل أو للمبالغة في القلة جاء له مثال واحد في القراءات المتواترة، هو في نهاية الطارق: {فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا} [الطارق: ١٧].

وقد جاءت هذى الفاصلة القرآنية نهاية السورة اتساقًا مع الفواصل التي قبلها: {إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا} [الطارق: ١٥-١٦] مع الإشارة إلى أن هذي الكُلَيمة ما وقعت في القرآن إلا في هذا الموضع نهاية الطارق فقط.

والكُلَيمة الأخرى التي جاءت مصغرةً في القرآن الكريم فهي (**بني**) (**بدل**) من (**ابن**) أو تصغير (**ابن**) وهي- أي: (بني) المصغرة – أنسبُ لسياق الآية من (**ابن**)، جرب أن تقول: (**يابْنى**) وأن تقول: (**يا بُني**)، الأخيرةُ هي الأنسب في رأيي ووهلى وخريطتي وتصوري.

فكم مرةً وقعت الكُليمة في القرآن الكريم؟ وقعت ست مرات، وعلى لسان الأنبياء عند مخاطبة بنيهم بِنيَّة التلطف مع هؤلاء الأبناء:

نوح: {**يَٰبُنَيَّ** ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [هود: ٤٢].

يعقوب لابنه يوسف: {**يَٰبُنَيَّ** لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ} [يوسف: ٥].

إبراهيم لابنه إسماعيل: {**يَٰبُنَيَّ** إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ} [الصافات: ١٠٢].

لقمان لابنه: {وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ} [لقمان: ١٣].

{يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ} [لقمان: ١٦].

{يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

ولكن هل لقمان - رضى الله عنه وأرضاه - كان نبيًّا، أو مرسلًا؟

الجمهور على أنه كان وليًّا صالحًا من الصالحين، ولم يكُ من الأنبياء، قال ابن كثير: جمهور السلف أن لقمان لم يكُ نبيًّا، إنما نُقِل عن عكرمة أنه كان نبيًّا، ذكره الله في القرآن فأثنى عليه، وحكى عن كلامه في وعظ ابنه، الذي هو أحب خلق الله إليه، وأشفق الناس عليه، فكان أول ما وعظ به: {يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ} ظلم لهذا المشرك بربه، وجاءت كلُّ تيك العظات في سورة باسم الأب **(لقمان)** رقمها في سور القرآن الكريم (٣١).

وترى سيدي القارئ أنَّ مواضعَ استخدام كلمة **(بني)** المصغرة كانت من قبل الآباء:

- **نوح**.
- **إبراهيم**.
- **يعقوب**.
- **لقمان**.

وكلهم أنبياء، عدا لقمان، الذي قيل: إنه كان حكيمًا وليًّا، أو كان نبيًّا عند عكرمة أو غيره.

ثم إنَّ كلَّ هذى المواضع جاءت في سياق التلطف والنصح، وحميمية العلاقة بين الآباء، وبين أبنائهم.

- ويقال: إنَّ لقمان الحكيم، قد عاصر داود عليهما السلام، كما قيل: إنَّه كان من سودان مصر في بلاد النوبة.

إذن جاء التصغيرُ في القراءات الصحيحة التي يصح القراءةُ بها في الصلاة وفي خارج الصلاة في كلمتين: (**رويدًا**) لتقليل فترة الإمهال، والتصبر على الكافرين، نهاية الطارق: {فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق: ١٧]؛ أي: أقل أقل القليل.

فما شروط القراءة الصحيحة التي بها يصح القراءة، في الصلاة، وفي خارج الصلاة؟

١- صحة السند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- موافقة رسم المصحف الإمام أو العثماني ولو احتمالًا.

٣- موافقة قواعد العربية، ولو بوجهٍ أو وُجَيهٍ.

الإمام محمد بن أبى بكر (ت: ٣٢٤هـ) حدد هذي القراءات التي استوفت الشروط الثلاثة السابقة بأنها قراءات هؤلاء السبعة:

١- عبد الله بن عامر اليحصبي، الشامي (ت: ١١٨ هـ).

٢- عبد الله بن كثير المكي (ت: ١٢٠هـ).

٣- عاصم بن أبي النجود، الكوفي (ت: ١٢٧هـ).

٤- أبو عمرو بن العلاء، البصري (ت: ١٥٤هـ).

٥- حمزة بن حبيب الزيات، الكوفي (ت: ١٥٦هـ).

٦- نافع بن أبي نعيم، المدني (ت: ١٦٩ هـ).

٧- **علي بن حمزة الكسائي، الكوفي (ت: ١٨٩هـ).**

هؤلاء هم السبعة الذين اختارهم ابنُ مجاهد في كتابه الأشهر (**السبعة في القراءات**) ولكن رؤى بعده أن يضافَ ثلاث من القراءات لهؤلاء الثلاثة:

١- **أبو جعفر، يزيد بن القعقاع، المدني (ت: ١٣٠هـ).**

٢- **يعقوب بن إسحاق الحضرمي، البصري (ت: ٢٠٥هـ).**

٣- **خلف بن هشام، البغدادي (ت: ٢٢٩هـ).**

فأصبحت القراءات المتواترة (**الصحيحة**) التي يصح بها القراءة في الصلاة، وفى خارج الصلاة عشرًا، ابن مجاهد (ت: ٣٢٤ هـ) صاحب السبعة في القراءات أول مَن سبَّع السبعة وسماهم، وحددهم.

رجل آخر كان له في شهرة القراء العشرة = ٧ + ٣ = ١٠، هو أبو الخير بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) رحمة الله عليهم أجمعين، أجمعين، أجمعين.

أما القراءات الشاذة فهي التي فقدت شرطًا من شروط القراءة الصحيح، وهي:

- صحة السند.

- موافقة المصحف الإمام (**العثماني**).

- موافقة قواعد العربية، ولو بوجه.

وعلى رأسها قراءات هؤلاء الأربعة:

١ - **الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ).**

٢ - **محمد بن عبد الرحمن بن محيصن (ت: ١٢٣ هـ).**

٣- **سليمان بن مهران الأعمش، الكوفي (ت: ١٤٨هـ).**

٤- **يحيى بن المبارك اليزيدي، البصري (ت: ٢٠٢هـ).**

وقد درست في رسالتي للدكتوراه في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨٣م - درست قراءات هؤلاء الأربعة، فلم أجد في هذى القراءات الأربع الشاذة ما صغر في القرآن غير كلمتي (**بني – رويدًا**)، إذن أين وقع التصغير في القراءات الشاذة؟

وهذى القراءات الأربع هل هي كل ما جاء من القراءات الشاذة؟ كلا، كلا، فأستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين (ت: ٢٠١٠م) قدم رسالته للدكتوراه عن القراءات الشاذة في كلية دار العلوم (١٩٦٥م) بإشراف أستاذه المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس (ت: ١٩٧٧م)، وقد تصفحت الرسالة في أصلها المخطوط، فلم أرَ فيها شيئًا من التصغير، فيما أذكر.

ونعود مرة أخرى لتناول ما جاء في القراءات، خاصة الشاذةَ من كليمات مصغرة، وبالأخص ما جاء الغرض منه التحقير أو التقليل لنقول:

١- يرى أبو حيان أنَّ نحو: (**سُليمان – عُزيز**) من الأسماء الأعجمية جاء على هيئة المصغر، وليست مُصغرةً مع تحفظنا على أن مثل هذي الألفاظ أعجمية، فهذي وأمثالها تدخل في باب الأَعلام، فهي ليست مُصغرةً، وإن كانت على هيئة المُصغرة والشكل.

٢- لكن جاء في القراءات الشاذة مثالان للتصغير، هما:

- في قراءة ابن مسعود: (**ومُريئته حمالة الحطب**) من سورة المسد، بدل: {**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ**}، وقد وُصِفت هذه القراءةُ بالشذوذ؛ لأنها خالفت المصحفَ العثماني:

- {**وَامْرَأَتُهُ**} في المصحف الإمام.

- (**ومُرَيئته**) في قراءة ابن مسعود.

فلا شك أنَّ التصغيرَ جاء في مكانه، فالتحقير جزاء وفاقًا لهذى المرأة (**أم جميل**) زوج أبى لهب، عليهما واسع اللعنات.

ب- مثال آخر، هو {لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ} [النساء: ١٧٢] قُرئ في الشاذ: (**أنْ يكونَ عُبَيدًا للهِ**)، هل هذا هضم للنفس أو المسيح؟ كلا، إن العبوديةَ- حتى لو صُغِّرت- شرفٌ لأي إنسان مهما كان شرفُه وعلوُّه، عبدًا كان أم عُبَيدًا.

ونذكر هنا أن القراءات الشاذة ليست مكذوبةً على الرسول أو هى مدعاة؛ بل تُوسَمُ بهذا الوسمِ والرسم؛ لأنها خالفت شرطًا من الشروط الثلاثة، وكلتا (**ومُريئته - عبيدا**) خالف الرسم، أو رسم المصحف الإمام:

- **مُرَيئته** بدل: {امرأته}.

- **عُبَيدًا** بدل: {عبدا}.

ولذا كانت هذى القراءة الشاذةُ لا يصح القراءةُ بها لا في الصلاة ولا في خارجها، فإنه يصح دراستها والاستشهاد بها.

وخلاصة القول: إنَّ الكلماتِ المصغرةَ في القراءات الصحيحة كلمتان، كلمة وردت مرةً واحدة هي (**رويدًا**)، والتصغير لا يشير إلى التحقير؛ بل إلى تقليل وقت الإمهال إلى أدنى حد، والثاني: (**بُنى**) قد صدرت من الآباء، أنبياء، أو أولياء، وكان الغرضُ من التصغير التلطفَ والتوددَ والعطف، وهو ما يشير في رأيي إلى الغرض المهم الرئيسي من التصغير، ليس الازدراء أو التحقير؛ بل على العكس التودد والإشفاق

وفي القراءات الشاذة تأكدنا من كلمتين مصغرتين:

- (**امرأته – مُريئته**).

- (**عبدًا – عُبَيدًا**).

الأولى امرأة أو **مُريئته** استحقت كلَّ أنواع الصَّغار والتصغير والتحقير، هي حمالة الحطب التي حاولت قتلَ محمد أمام الكعبة، وأتصور أن السببَ يكمن في شحن زوجها ضدَّ ابن أخيه الذي أعتق الجارية التي بشرته بميلاد محمد، فهي سعَّرت نارَ العداوة بين سيدي رسول الله وعمه.

وفي الثانية لا فرقَ بين أن يكون عبدًا لله، أو عُبَيدًا، إنَّه شرفٌ ما بعده شرفٌ، ولا أرى في التصغير هنا مساسًا بسيدنا المسيح ألبتة.

ونترك التصغير وقضايا وما أتحفنا به العلامة الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة إلى شيء لما ذكر، أي: ما ذكر قبل ذلك، وهو ما جاء في المادة ٥٩ من دستور اللغة العربية، وشروحها، المادة المذكورة تقول:

ومن وسائل العربية في تعبيرها المهذَّب الرقيق البحارة: الإكثارُ من استخدام الكُنى والألقاب بشكل لا نجده في غير لغتنا، ففي العربية ثلاثة أشياء:

الكُنية: كل مركب إضافي صدره: (**أب – ابن – أم – بنت – أخ – أخت – عمة – عم – خال – خالة**) مثل: (**أبي بكر – أم سلمة – أبي حسن**).

اللقب: ما أشعر برفعة، مثل: (**زين العابدين – الباقر – الفاروق – المؤيد**)، أو ضعة: (**الجاهل – الجاحظ – الحمار – الجحش**).

والاسم: ما عداهما، وهو الغالب: (**محمد – علي – سعد – سعاد – زينب**).

انظر إلى علماء النحو يفصلون الأمر تفصيلًا، هذا نموذج:

١ – إذا اجتمع الاسم واللقب (**على زين العابدين**) تقدم الاسم على اللقب، وقد تتقدم الكُنية على الاسم (**زين العابدين**)، ويعلل النحاة تأخر اللقب عن الاسم هنا؛ لأنَّ اللقب يشبه النعت في إشعاره

بالمدح أو الذم، والنعت لا يُقدَّم على المنعوت، فكذلك ما أشبهه مثل: (**محمد تاج الدين**) قول أديب، أو قول أريب.

ولكن اللقب يمكن أن يتقدم، كما جاء في بعض الشواهد، والرأي الواهل الوهل لديَّ أنه يُقدَّم الأشهرُ، يقدم سواء أكان اسمًا أو لقبًا، كما نقول: (**الأعمش، سليمان بن مهران**) أو (**سليمان بن مهران، الأعمش**).

ثم؟ ثم لا ترتيبَ بين الكُنية وبين غيرها من الأسماء أو الألقاب:

١- قال أبو محمد الحسن

٢- قال عليٌّ أبو الحسن.

٣- قال السفاح أبو العباس.

٤- قال أبو العباس السفاح.

فإن الأشهرَ يتقدم، سواء كان اسمًا أو لقبًا، أو كُنيةً، كما سبق من أمثلة.

فإذا اجتمع الاسم واللقب، فإن كانا مضافين (**هذا عبد الله صائد الفِيَلة**) كان لهما إعرابان، وإن كان أحدهما مفردًا والآخر مضافًا، وإن كانا مفردين... تفاصيل[1] ليس بها من بأس.

ولكن لا أحدَ أشار إلى أهمية الكُنية والاكتناء، وأنَّها نوعٌ من التقدير للمخاطب بها، والذوق الرفيع في الخطاب والتواصل، وهو ما لا يُوجَد في لُغَيَّةٍ أخرى غير لُغَيَّة عربية بنى يَعرُب، أو ليست بهذي الصورة في العربية.

---

(١) راجع مثلا: (الكامل في قواعد العربية...) تأليف أحمد زكي صفوت، ط ٤، القاهرة ١/٥٤

الكُنية خاصة مع الأب والأم تضع اليد على قوام مهم في حياة الأمم والشعوب، ألا وهو الإنجاب، الأمومة والأبوة، فإن قصرت أمة في الإنجاب كانت معرضةً للانقراض سراعًا سراعًا، حتمًا لزامًا.

هذه أوربة قارة عجوز، تشكو قلةَ النسل المؤدى إلى الانقراض، ولذا كانت حرب أُكرانيا طاقة القدر للنسل في أوربة، الشعب الأُكراني المسكين كان عديده أيام الاتحاد السوفيتي ٥٦ مليون نسمة، بعد الاستقلال ١٩٩١م تناقص الى ٤٠ مليونًا أو أقل، والآن بعد الحرب نقص إلى أقل من ٣٠ مليونًا، وا حزناه وا حسرتاه - أيها الأكران!

هذه هي الحياة مع الغرب ومع الأغنياء، والشيء بالشيء يُذكَر، فهذى سيدة يابانية تقول: لماذا أنجب؟

- **عندي شقة.**

- **وعندي سيارة.**

- **وعندي حاسوب محمول.**

فلماذا (**تنجب**)؟! فأما السيدة الإفريقية - سنغالية - تزوج عليها زوجها للمرة الثالثة، يسألونها: ألا تغضبين من الزواج عليك، وللمرة الثالثة؟ تقول المرأة بكل ثقة: كلا، وإن هذى الزوجة الثالثة تعاوني في عمل البيت، وباعتباري الزوجة الأولى فأنا القيِّمة عليهما، أوزِّع العمل على كلتيهما، فماذا يعمل هذا الزوج (**الحمش / الحازم**)؟ معلم، محفظ للقرآن، فالله هو الرزاق.

إنَّ المرأةَ المعاصرة عند غناها واستغنائها تستنكف عن الحمل والولادة، وإنِ اضطرت اشترت من أبناء الفقراء، في أمريكا اللاتينية مثلًا، كما ذكر لي صديقي الأوربي.

وهكذا تلمس الكُنية وترًا حساسًا في حياة الأمة في طريق البقاء والخلود أو الفناء والانقراض.

هكذا – في النهاية – وجدنا عند عضيمة لفتة طيبة واقعية في مضمون الكلمات المصغرة في القرآن الكريم، وفي دستور اللغة العربية إشادة باستخدام الكنى لدى العرب، خارج الوطن العربي، وداخله، فقد كنا في نيجيريا ١٩٨٣ – ١٩٨٤م، لا نعرف بعضنا إلا بالكُنى:

- **أبو محمد، السوري.**
- **أبو ديمة العراقي.**
- **أبو خلود السعودي.**
- **أبو أسماء المصري.**

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير